الفصل الأول

مدخل إلى الشعر القديم

- لمحة تاريخية عن نشأة الأدب العربي.

مدخل إلى الشعر القديم

الأدب لغة :

الأدب يعني كلمة: الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة. والأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدباً لأنه يأدب الناس على المحامد وينهاهم عن المقابح كما ورد في لسان العرب[1]

وفي الحديث عن ابن مسعود "إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته".

وفي المحيط : الأدب – محركة – الظرف وحسن التناول، وأدبه: علمه – بالفتح – العجب.

وأدب البحر: كثرة مائه.

ويرى ابن خلدون "إن الأدب علم لا موضوع له. وإن المقصود منه ثمرته وهو الإجادة في المنظور والمنثور، وحفظ أشعار العرب وأَخبارهم والأخذ من كل فن بطرف[2].

كما عرفه آخرون أنه :" تلك النصوص الخالدة التي يقرؤها الناس مرة ومرة".

ويشير الجواليقي إلى هذا المعنى بقوله، والأدب الذي كانت تعرفه العرب هو ما يحسن الأخلاق وفعل المكارم.

ويقسم مفهوم الأدب عند بركلمان[3]

أ. المفهوم العام: هو كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله على الذاكرة.

ب. المفهوم الخاص: فهو الكلام الفني الجميل، الذي يخاطب العقل ويصور العاطفة والشعور.

كلمة "أدب" من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمم العربية، ابتدأ من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

أ. العصر الجاهلي :

كلمة الأدب في العصر الجاهلي لم يعرفها العرب في لغتهم اصطلاحاً، وإنما عرفوها واقعاً وتطبيقاً. لكن عدم ورودها في الجاهلية، لا ينفي أنها غير موجودة عندهم وذلك يعود إلى أن الأدب الجاهلي اعتمد على الرواية مما أدى إلى ضياع الكثير منه.

1- لسان العرب لإبن منظور، مادة أدب.
2- إبن خدلون، والمقدمة، ص688.
3- د. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص14-15.

ب. العصر الإسلامي :

وهو الفترة التي عاشها الرسول، ﷺ، وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم.

كلمة أدب في تلك الفترة لم ترد في القرآن الكريم صراحة بالرغم من ورود معناها في أكثر من آية. أما بالنسبة للحديث النبوي الشريف فقد أشار الرسول، ﷺ، عندما قال: "أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربيت في بني سعد"[1].

جـ. العصر الأموي :

شاع إستعمال كلمة الأدب، وتعددت مشتقاتها، وتمايزت معانيها.

كما إن هذه الكلمة أطلقت على فئة من الأساتذة التي تقوم بتعليم أبناء الخلفاء والأمراء فعُرفوا بالمؤدبين كأبي معبد الجهني، وعامر الشعبي.

د. العصر العباسي :

أما في هذا العصر فقد اتسع المفهوم ليتناول المعارف الإنسانية، والآثار العلمية، وأنواع الفنون الجميلة والرياضية.

ومن هذه الاستخدامات :

1- كانت بمعنى رياضة النفس وتربيتها وتهذيبها.

2- وبمعنى الدعوة إلى الطعام.

3- الكلام الجيد من الشعر والنثر وما يتصل به من شرح ونقد وبلاغة وأنساب وعلوم وغير ذلك.

4- بمعنى علوم الكتابة والقراءة والنحو واللغة والمعاملات وعلم الشعر والعروض والبيع والشراء والأخبار.

5- استخدمت كلمة الأدب كاسم لبعض الكتب منها :

كتاب (الأدب الصغير والأدب الكبير) لابن المقفع، كذلك ابن قتيبة كتابه (أدب الكاتب). وهذا أبو تمام فقد جعل فصلاً من كتابه (الحماسة) سماهُ الأدب.

هـ . العصر الحديث :

في العصر الحديث وقف مفهوم الأدب عند الشعر والنثر، أي هو ما يؤثر من بليغ الشعر والنثر.

1- د. محمد ربيع، قضايا النقد العربي الحديث، ص11.

وفي العصر الحديث : صار لكلمة الأدب معنيان :

أ- الأدبة بمعناه العام : الإنتاج العقلي مهما كان هذا الموضوع الذي يكتب فيه.

ب- الأدب بمعناه الخاص : فقالوا الأدب هو التعبير المبدع عن الذات بلغة مؤثرة ومناسبة، أو هو طبيعة الحياة وتأثيراتها على النفس بأسلوب جديد.

ويلخص الأستاذ عمر فروخ معنى كلمة أدب في كتابه (تاريخ الأدب العربي) إذ يقول: "تدل كلمة أدب على معان متعددة منها : دعوة الناس إلى الطعام، ومنها تهذيب النفس وتعليمها، ومنها الحديث في المجالس العامة، ومنها الكلام الحكيم الذي ينطوي على حكمة، أو موعظة حسنة، أو قول صائب".

وعرف بعض الناس الأدب فقالوا :

هو تعبير جميل يعبر عن مشاعر الإنسان وأحاسيسه وانفعالاته بصور موحية قادرة على نقل تجربة الأديب الشعورية للمتلقي أو السامع أو القارىء.

يقوم الأب على عنصرين أساسيين :

1- التجارب الشعورية للإنسان من قلق وحزن وألم وفرح وغير ذلك.

2- استجابات الأديب تجاه الواقع الذي يعايشه، والتجربة التعبيرية والقصد منها نقل التجربة الشعورية الداخلية للإنسان إلى صورة لفظية معبرة.

أركان الأدب الجديد :

1- الأفكار الجديدة.

2- العبارات الجميلة.

3- العاطفة الجيدة.

4- الخيال المصور (الواسع).

ومن خلال استعراضنا لمفهوم الأدب يتبين لنا أن الأديب هو : الذي يتذوق الأدب هو : الذي يتذوق الأدب ويقدر على الإنتاج الأدبي الحكيم، كأن يكون هو الكاتب أو الشاعر أو من يزاول حرفة الأدب.

ما هي فنون الأدب :

1- الشعر : ويكون منظوماً على أوزان معروفة معينة.

2- النثر : ويكون مرسلاً لا يتقيد بوزن أو قافية وهو أربعة أنواع هي :

الخطابة، القصة، الرواية، الرسالة، المقالة.

أما الشعر فهو ثلاثة أنواع : الشعر الغنائي، الشعر القصصي، الشعر التمثيلي (الدراما).

ومن هنا نعلم أن الأدب : هو الكلام الجميل البليغ الصادر عن عاطفة، المؤثر في النفوس.

الأصل الاشتقاقي لكلمة "أدب".

آثار بعض الدارسين أمثال الدكتور أبو شريفة هذا الأمر فقال : إن الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة انقسم فيها العلماء إلى ثلاثة أقسام[1] :

القسم الأول : قال : إنَّ أصلها غير عربي فهو أصل يوناني لفظاً ومعنى ومن هؤلاء إنستاسن الكرملي وأن من معانيها عندهم الغناء والمجالسة والمنادمة.

القسم الثاني: ويمثله الأستاذ أحمد حسن الزيات الذي يرجع أصلها إلى السومريين الذين سكنوا جنوب العراق.

القسم الثالث: المستشرق الإيطالي كارلو نالينو فقال إنها مشتقة من الدأب أي من العادة وأن دأب جمعت على آداب.

كيف ندرس نصاً أدبياً ؟

عند دراسة أي نص أدبي لابد من تمييزهِ عن بعضه فنقول : هل هو نص شعري أم أنه نص نثري، لماذا؟ لأن كل فن من هذه الفنون يختص بطريقة دراسة خاصة، ولكن حتى نسهّل على الدارسين يمكن أن نجمل هذه العملية في الخطوات الآتية :

1- إعطاء فكرة واضحة عن كاتب النص (المؤلف) أو قائله وكذلك المناسبة التي قيل فيها.

2- تحديد غرض النص (الفكرة الأساسية) وموضوعه ثم تقسيمه إلى أفكار رئيسة.

3- شرح النص شرحاً تفصيلياً، مع توضيح معاني المفردات.

4— النظر في أسلوب كاتب النص وفي الصور الفنية والبلاغية وأثر ذلك على النص ونستطيع القول إن هذه نظرة مستعجلة في دراسة النص الأدبي والذي يريد الدراسة الواضحة والواسعة فعليه أن ينظر في كتب الأدب والنقد التي تهتم بمثل هذا الأمر.

(1) د. محمد ربيع، قضايا النقد العربي الحديث.

• **تاريخ آداب اللغة العربية :**

هو تاريخ علوم اللغة العربية، أو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم، فهو تاريخ الأمة من الوجهة الأدبية والعلمية. فتاريخ آداب اللغة : هو تاريخ عقول أبنائها، وما كان من تأثير ذلك في نفوسهم وفي أخلاقهم. ويدخل فيه تعيين ما بلغت إليه الأمة من الرقي العلمي، وامتازت به عن جوارها، وبيان تاريخ كل علم وما تقلب عليه من الأحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها، وكيفية تفرعها أو اختلافها عن بعض[1]. من أنواعه :

1- التاريخ السياسي : يبحث فيما مر على الأمة من فتوح الحروب وأنواع الحكومات.

2- التاريخ الاجتماعي : يبحث في عاداتها وأخلاقها.

3- التاريخ الاقتصادي : يبحث في أحوال الأمة مالياً و (صناعياً وزراعياً).

4- التاريخ الأدبي والعلمي : يبحث في الأدب والعلم، من حيث عدد الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء وأبرز المؤلفات.

يقسم تاريخ آداب اللغة العربية :

أ. حسب العلوم :

هو التطرق إلى كل علم على حدة من نشأته إلى الآن، على أن يبدأ بأقدمها ويتدرج إلى أَحدثها.

ب. حسب العصور :

هو التطرق لكل العلوم معاً، في كل عصر على حدة، أي يصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلابها في العلم والأدب.

عصور الأدب العربي :

يمتد الأدب العربي من القرن الخامس الميلادي حتى الآن، ولقد جرى تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى العصور الآتية :

1- العصر الجاهلي :

يمتد نحو مئتي سنة قبل الإسلام. وقد وصل إلينا من هذا العصر أقدم الآثار الأدبية العربية ومنها قضايا الأدب الجاهلي :

(1) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص14-15.

أ. مصادر الشعر الجاهلي وتقسم إلى :

1- **المعلقات** : قصائد جاهلية طوال، وقد أَجمع النقاد أنها من أَجود الشعر الجاهلي، إلا أن الرواة اختلفوا في عددها فمنهم من أعدها عشر ومنهم من أعدها ثمان ومنهم أعدها سبع.

2- **المفضليات** : تعود تسميتها إلى المفضل الضيبي لأنه جمعها، بأمر من الخليفة العباسي، إذا اختار عدداً من القصائد الجاهلية ليلقيها على ابنه المهدي.

3- **الأصمعيات** : تعود تسميتها إلى الأصمعي عبد الملك بن قريب الملقب "بشيطان الشعر".

4- **جمهرة أشعار العرب** : جمعها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في أواخر المائة الثالثة للهجرة، وهي الجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي، والمشربات، والمعلقات.

5- **مختارات ابن الشجري** : تعود لابن الشجري وهي مختاراته من شعر جاهلي وإسلامي.

6- **الحماسيات**: هي قصائد جمعها شعراء كبار منهم أبو تمام والبحتري وتتصق بأنها أدبية أكثر منها تاريخية.

ب – شعر الصعاليك : هو شعر فئة من فتيان الجاهلية خلعتهم قبائلهم، وتبرأت منهم إما لسوء تصرفاتهم، أو لسواد بشرتهم فلما رأوا أنفسهم منبوذين من القبائل انتقلوا في جماعات من صنع أنفسهم، ووضعوا لكل جماعة قائداً منهم وأطلقوا على أنفسهم لقب الصعاليك.

جـ – الأمثال : والمثل هو قول يقصد منه تشبيه حال الذي حكى فيه، وحال الذي قيل لأجله. وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: المثل السائر، والمثل الخرافي، والمثل الحكمي.

2- **العصر الإسلامي :**

يمتد هذا العصر من بعثة النبي، ﷺ، إلى انتهاء الدولة الأموية 132هـ، ويرى المؤرخون تقسيم هذا العصر إلى قسمين :

أ. عصر صدر الإسلام : ويبدأ من بعثة النبي، ﷺ، إلى انتهاء الخلافة الراشدة سنة 40 هـ. حيث لم يكن اهتمام كثير بالشعر، وذلك بسبب الانشغال التام بالفتوحات الإسلامية، وإن كان هناك شعر لم يدون بسبب تلك الفتوحات.

ب . العصر الأموي : ويبدأ من خلافة معاوية سنة 40هـ، إلى انتهاء الدولة الأموية زمن مروان بن محمد سنة 132هـ.

وقد تم بناء أسس الدولة الإسلامية، وقواعدها في المدينة المنورة، ومن أبرز المسائل التي ظهرت في العصر الأموي هي :

أ. شعر الإسلام : في هذا العصر ظهر إتجاهان : اتجاه قاد الشعراء المشركون المعادون للدعوة الإسلامية، واتجاه قاد الشعراء المسلمون الذين نافحوا عن الإسلام بشعرهم، وردوا على مطاعن الشعراء المشركين.

ب. شعر الدعوة الإسلامية : هو الشعر الذي تناول دعوة الناس للدخول في الإسلام، ومدح الرسول،ﷺ، والحث على الجهاد، ورثاء الشهداء.

جـ – شعر النقائض : هو فن ظهر بسبب الخصومات والعصبيات بين القبائل.

د– شعر الفتوح الإسلامية : هو الشعر الذي سجل فيه الانتصارات التي أحرزها المسلمون في الدعوة للإسلام.

هـ – الغزل العذري : ينسب إلى بني عذرة من قضاعة، وكانوا ينزلون بوادي القرى شمال المدينة، وسبب التسمية أن شعراء هذه القبيلة أكثروا من هذا اللون الغزلي.

وهذا اللون من الغزل يعبر الشاعر به عن حب طاهر عفيف، يتسامى فيه عن المتع الحسية في الغالب، ويصف بما يكابده من لوعة الحب، واليأس من لقاء المحبوبة.

و. أدب الفرق الإسلامية : هو الشعر الذي يؤيد فيه الشاعر فريقاً على فريق آخر، أو طائفة على طائفة أخرى، أو حزب على حزب آخر.؟ ومنهم الأمويون، والخوارج، والعلويون والشيعة".

3-**العصر العباسي :**

يمتد هذا العصر من (132هـ – 334هـ)، ولذا فقد ذهب مؤرخو الأدب إلى تقسيمه حسب المراحل السياسية :

العصر العباسي الأول : (132هـ – 231هـ).

العصر العباسي الثاني : (232هـ –334هـ).

• وقد شهد الأدب العربي في هذا العصر تطوراً في أساليبه، وموضوعاته، واتجاهات الشعر:

1- حركة التجديد : تميز العصر العباسي عن غيره من العصور بالصنعة أو التصنع أو

البديع. ذلك إن ذوق التصنع أو الزخرفة والزينة يكاد يعم في كثير من جوانب الحياة العباسية.

2- شعر المجون : هو في الشعر العربي يرجع إلى نزعة أطلق عليها إسم نزعة التنوير.

ويقول د. عبد الرحمن أنها نشأت في العالم الإسلامي نتيجة لانتشار الثقافة اليونانية؛ وهي نزعة تقوم دائماً على أساس تمجيد العقل وعبادته، وعلى فكرة التقدم المستمر للإنسانية الخالصة في مقابل القيم الإلهية والنبوية[1].

3- شعر الزهد والتصوف : هو الشعر الذي يهدف إلى إيقاف تيار اللهو والمجون والقضاء على أسباب الفتنة والخلاعة التي تقوم بها فئة من الأمة التي اتّبعت أهواءها وشهواتها.

4- العصر الأيوبي والمملوكي : ويبدأ هذا العصر من عام 334هـ إلى العصر الحديث، وقد وصفه بعض الباحثين بعصر الإنحطاط، والركود، والجمود، والتوابع الأدبي، والفكري، وهذا وصف غير دقيق، لأن الشواهد التي أتوا بها غير مقنعة وقليلة.

الموضوعات التي برزت في هذا العصر :

1- **شعر الجهاد** : هو الشعر الذي يقوله الشاعر بهدف الحث على الجهاد، ومن أهم الشعراء الذين ساهموا بأشعارهم في تحريك الأمة وجمع شملها على كلمة التوحيد : ابن القيسراني، وابن قسيم الحموي، أسامة بن المنقذ.

2- **شعر التصوف** : هو الانصراف عن الدنيا، والزهد في الحياة والمال وقد سلكت الصوفية طريقتين لتحقيق غاياتها الطريق الأول : الزهد، والفقر، والتقشف، والطريق الثاني : التقرب إلى الله والتوصل إليه للحصول على الرضا.

3- **شعر المعارضات** : هو أن ينسج الشاعر قصيدة على منوال قصائد سابقة مشهورة، في الموضوع نفسه، والتزام الشاعر نفس القافية ومثال ذلك قصيدة كعب بن زهير "البردة" :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يقد مكبول

ومن معارضها البوصيري في قصيدته ومطلعها :

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

4- **الشعر الاجتماعي** : هو الشعر الذي يعبر به الشاعر عن أحوال أُمته وعن آماله وآلامه.

(1) مقدمة من تاريخ الإلحاد في الإسلام.

5- **الأدب في الأندلس** :

بعد قيام الدولة العباسية بفترة وجيزة سنة (138 هـ – 755هـ) تحت راية الأمويين الذين أسّسوا دولتهم الثانية : وما يميز هذا العصر عن العصور السابقة أن الشعر كان وافراً غزيراً في كل ناحية من نواحي الحياة في المجتمع الأندلسي، ويقبل عليه الناس بمختلف فئاتهم إقبالاً شديداً.

- أَما السمات الخاصة التي تميز الشعر الأندلسي :

أ. تجديد الموضوعات : يتناول الشاعر موضوعات جديدة لم يتناولها من قبل.

ب. التجويد الفني : ظاهرة ظهرت في الشعر الأندلسي وهي محاولة الأداء بطريقة أجود مما ألف السابقون سواء كان من حيث المضمون أو من حيث الشكل للقصيدة.

جـ – التركيز على العاطفة : تكون العاطفة في الشعر الأندلسي تتميز عن سائر العصور حتى لتوشك أن تكون أبرز عناصر العمل الفني.

- الموضوعات التي ارتكز عليها هذا العصر :

1- **رثاء الممالك** : هو رثاء المدن التي سقطت في يد الإستعمار وأولى المدن التي سقطت هي طليطلة وكانت في فترة مبكرة، وشكل هذا السقوط صدمة كبرى أصابت المسلمين في الأندلس بالذهول، وأورثتهم إحساساً ينبىء بغروب شمسهم، وفي هذا المعنى يقول الشاعر عبدالله بن فرح اليحصبي :

يا أهل أندلس شـــدوا رجـــالكمُ فـــمـــا المقـــام بهـــا إلا من الفَلْطِ
الثـــوب ينسل من أطرافـــه وأرى ثوب الجـزيرة منســولاً من الوسط
من جـاور الشـر لا يأمن عـواقـبـه كيف الحياة مع الحيات في سفط

2- **شعر الزهد** : هو الدعوة للتقوى وتطهيراً لنفس من أدران المعاصي التي تعلق بها من خلال معايشة الناس للأعمال الكبيرة.

3- **شعر الطبيعة** : الطبيعة عند شعراء العصر الأندلسي هي مبعث الوحي ومصدر الإلهام في معظم ما نظموا، لأن البيئة الأندلسية في بلاد حباها الله بجمال طبيعي يتمثل في خضرتها الدائمة، أو غزارة مائها وكثافة شعرها وامتداد سهولها وحقولها.

4- **الموشحات** : فن شعري جديد ابتكره العرب خلال وجودهم الطويل في الأندلس، والذي إمتد ثمانية قرون من 92-897هـ،إذ أطلق عليه الموشحات والسبب يعود لما فيه من تزيين، وترصيع وصنع.